﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النِّساء: 152]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن الله ﷻ ما أعدَّ للَّذين يُريدونَ أنْ يُفرِّقوا بين الله ورُسُلِه، ويَبتدِعوا دينًا جديدًا ومَسلَكًا بعيدًا عن الحقِّ من العذابِ المُهين؛ بيَّنَ هنا في الآيةِ الكريمةِ ما أعدَّ لأَضْدادِهم من أهلِ طاعته الَّذين لم يُفرِّقوا في اعْتقادِهم بين أحدٍ من رُسُله، من الرُّتبِ العاليةِ والأجورِ العظيمة، والمغفرةِ التَّامَّةِ والرَّحمةِ الواسعة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾: الإتْيانُ: مجيءٌ بسهولة، ومنه قيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهه: أَتِيٌّ وأَتاوِيٌّ، والإتْيانُ يُقالُ للمجيءِ بالذَّاتِ وبالأمرِ وبالتَّدبير، ويُقالُ في الخيرِ والشَّرِّ وفي الأعيانِ والأعْراض.

والإيتاء: الإعطاءُ[2]، وخُصَّ دفعُ الصَّدقةِ في القرآن بالإيتاء، كما في قولِه تعالى: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾ [الأنبياء: 73][3]، وقولِه تعالى هنا: ﴿سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ﴾ أي: يُعطيهِم.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أخبرَ الله تعالى في بيانِه الجليلِ أنَّ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ، همُ الَّذينَ يُؤمنونَ بكلِّ كتابٍ أَنْزلَه الله، وبكلِّ نبيٍّ بعثَه الله، ثمَّ أخبرَ تعالى بأنَّه قد أعدَّ لهمُ الجزاءَ الجَزيلَ والثَّوابَ الجليلَ والعطاءَ الجميل، على ما آمنوا بالله ورُسُلِه، وسَيغفرُ ذُنوبَهم، ويَرحمُهم بواسعِ رحمتِه[4].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 5/452 - 453.
(2) الخليل، العين: (أَتَو).
(3) الرَّاغب، المفردات، ص: 60 - 61، وابن منظور، اللِّسان: (أَتَى).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/510.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

وجهُ المُقابلةِ والإيماءِ:

أفادَ السِّياقُ مقابلةَ الكافرينَ بالمؤمنين، والثَّناءَ على مَنْ آمنَ مِنْ أهلِ الكتاب، ووعدَهم بالمغفرةِ والرَّحمة

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ هو من عادةِ القرآنِ في مُقابلةِ المُسيئينَ بالمُحسِنين، والنَّذارةِ بالبشارة، وفي ذكرِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إيماءٌ إلى مَنْ آمنَ مِنْ أهلِ الكتابِ كعبدِ اللهِ بنِ سلام ﷺ وخاصَّةً بعدَ ذكرِ ضلالِهم، ولِمَا اقْتضاهُ تذييلُ الجُملةِ بقولِه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أي: غفورًا لهم ما سَلَفَ من كُفْرِهم، رحيمًا بهم[1].

والقولُ في الإتيانِ بالموصولِ وباسْمِ الإشارةِ في هذه الجملةِ: كالقولِ في مُقابلِه، كما تقدَّمَ بيانُه في موضِعه.

علَّةُ دخولِ ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿أَحَدٍ﴾:

دلَّ السِّياقُ عُمومَ (أَحَد) في إيمانِ المؤمنينَ بجميعِ الرُّسُل

كيفَ جازَ دُخولُ ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿أَحَدٍ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ وهو يَقْتَضي شيئَيْنِ فَصاعِدًا ؟ الجوابُ: هو أنَّ أحدًا عامٌّ في الواحدِ المذكَّرِ والمؤنَّثِ وتَثنيتِهما وجَمعِهما، فيُرادُ به العُموم، كما تقولُ: ما رأيتُ أحدًا فتَقصِدُ العُموم، فالمعنَى هنا: ولم يُفرِّقوا بين اثْنَيْنِ منهم أو بينَ جماعة، كما في قولِه تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: 32][2].

وكأنَّ هذا النَّظمَ اخْتيرَ كذلكَ للمبالغةِ بأنْ لو أنَّ الواحدَ يمكنُ فيه التَّفرقة، فكانَ الإيمانُ بالبعضِ دونَ البعضِ كفرًا[3].

سرُّ تكرار اسم الإشارة:

الجزاء من الله تعالى وحده، ولا فرق بين الأنبياء

تكرار ذكرهم بالإشارة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾؛ للتوكيد بأنَّ الإذعان الكامل هو من غير استعلاء، وجحود، وحقد، وعدم التفرقة بين الأنبياء، وهو وحده الَّذي جعل لهم ذلك الجزاء[4].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/12.
(2) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/576.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 5/452.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1940.

نكتة التَّعبير بـ(سوف):

أفادَ الاستقبالُ في (سوفَ) كمالَ التَّحقُّقِ والوُقوع

أفادَ قولُه تعالى: ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: أنَّ إيتاءَ أجورِ المؤمنينَ كائنٌ لا محالة، وكاملٌ كما هو كمالُ إيمانِهم باللهِ ورُسُلِه، ودونَ تفريقٍ بين أيِّ رسولٍ، وهو وإنْ تأخَّرَ، فالغرضُ به توكيدُ الوعدِ وتَثبيتُه، لا كونُه متأخِّرًا[1]، وقد أتَى بيانُ اللهِ بالأداةِ الَّتي هي أكثرُ حروفًا وأشدُّ تَنْفيسًا؛ لأنَّ هذا السِّياقَ لأهلِ الإيمانِ المجرَّدِ الشَّاملِ لمن لم يكنْ له عمل؛ ولذا أضافَ الأجورَ إليهم، وختمَ بالمغفرة؛ لئلَّا يحصُلَ لهم بأسٌ، وإنْ طالَ المدَى[2]، فأكَّد اللهُ ﷻ الجزاء والثَّواب بالتَّعبير بسوف الدَّالَّة على تأكيد الفعل في الزَّمن المستقبل[3]، فالتَّصدير بسوف لتأكيد الوعدِ والدَّلالةِ على أنَّه كائنٌ - لا محالةَ - وإن تراخى[4].

سرُّ عدم وصف الإيمان بالحقِّ:

وصف إيمان البشر بالكمال مظنَّة الاغترار

لم يقل تعالى في هؤلاء: (إنهم هم المؤمنون حقًّا)، كما قال في أولئك: إنَّهم هم الكافرون حقًّا؛ لئلَّا يتوهَّم متوهِّم أنَّ كمال الإيمان موجودٌ، وقد يتحقَّق، وإنْ لم يترتَّب عليه لازمه من الهدى والعمل الصَّالح، فيغترُّ بذلك، وقد وقع النَّاس في مثل هذا على كثرة ما ينافيه، ويردُّه من آيات القرآن، أمَّا المؤمنون حقًّا؛ فقد بيَّن اللهُ وصفهم في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: 2- 4][5].

---

(1) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/576.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 5/452 - 453.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1941.
(4) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/249.
(5) رضا، تفسير المنار: 6/9.

للمؤمن الحقِّ مثوبةٌ تناسبُ علوَّ الدَّرجات

وههنا نكتةٌ بلاغيَّة في متشابه اللَّفظ الخاصِّ بتوفية الأجور بين آية الأنفال وآية النِّساء، ذكرها محمد رشيد رضا بقوله: "وتأمَّل الفرق بين الوعد في هذه الآية الأخيرة من هذه الآيات، والوعد في الآية التي نفسِّرها؛ تجده عظيمًا، فإنَّه تعالى أثبت لهؤلاء الذين هم المؤمنون حقًّا الدَّرجات العلا عند ربِّهم، والرِّزق الكريم، بلام الملك، جزاءً على ما أثبت لهم من أصل شجرة الإيمان وفروعها، وأمَّا أولئك الذين أثبت لهم الأصل فقط، وهو الإيمان بالله ورسله بلا تفرقة بينهم، فإنَّما وعدهم بأنَّه يعطيهم أجورهم، أي: بحسب حالهم في العمل"[1].

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ:

في قولِه تعالى: ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ قراءتان[2]:

إنَّ الَّـذي يُـؤتي المؤمنينَ أجورَهم هو اللهُ وحدَه

الأُولى: ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ بياءِ الغائب، والضَّميرُ عائدٌ إلى اسْم الجلالةِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾. والثَّانيةُ: ﴿نُؤْتِيهِمْ﴾ بنونِ العَظَمة.

وفي كلتا القراءَتَيْن تأكيدٌ بأنَّ الَّذي يتولَّى إيتاءَ الأُجورِ العظيمَةِ للمؤمنينَ بإيمانِهم بالله وجميعِ رُسُلِه: هو الله - سبحانه - لا أحدَ سِواه، مع أنَّ الإيتاء بنون العظمة ﴿نُؤْتِيهِمْ﴾ مزيدُ تشريفٍ للمُعْطينَ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعْطاء:

الإعطاءُ: هو اتِّصالُ الشَّيءِ إلى الآخذِ له، ألَا ترى أنَّكَ تُعطي زيدًا المالَ؛ ليَرُدَّه إلى عمرو، وتُعطيه؛ ليتَّجِرَ لكَ به، وهذا هو الأصلُ في الإعطاء[3]، والإعطاءُ لا يَقْتضِي إخراجَ المُعطي من الملك[4].

(1) رضا، تفسير المنار: 6/9 - 10.
(2) الأولى: قراءة حفص عن عاصم، والثَّانية: قراءة الباقين من العشرة، ينظر: محمَّد كريِّم راجح، القراءات العشر المتواترة، ص: 102.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 59.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 83.

وأمَّا الإيتاءُ؛ فهو مجيءٌ بسهولة، وهو أوسعُ في دَلالاتِه من الإعطاء، وهو وإن كانَ قد خُصَّ بدفعِ الصَّدقةِ في القرآن[1]، فهو من هذا الوجهِ تمليكٌ للمُعْطَى، فإنَّ الله تعالى يؤتي عبادَه المؤمنين به وبجميعِ رُسُلِه أجرَهم بسهولةٍ في اعْتقادٍ يؤجَرونَ عليه تمليكًا منه تعالى لهم فضلًا منه وإحسانًا، وبذلك يكونُ الفعلُ (يُؤتيهِم) أوْفى بالسِّياقِ من الفعلِ (يُعطيهِم).

(1) الرَّاغب، المفردات، ص: 60 - 61.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»